وبه تتمُّ كلّ اعمالها وهذه الاعمال مصدر سعادتها فانَّ هذا القول باطل قال ابن مسكويه في كتاب الفوز الاصغر (ص ٨٠) :

« نعتقد جميع ما يعدُّهُ معاشر البشر سعادةً ونحن في هذه الابدان ملابسين الطبيعة ونحبُّ لذَّة في جميع الحواس ومن كلّ الجهات فهي كلها كالظل والشبح مما هو اعلى منّا لأنَّهُ فيض من هناك وهو كامل تام محض وان كنَّا لا نتصوَّرهُ حقّ تصوره . وكما اذا نظرنا الآن ونحن اناس مخلصون في احوالنا التي كانت لنا في الطفوليَّة والرضاع في حال ما كنا اجنَّة في بطون الامهات واطباق الارحام وما كنا نعدُّهُ سعادة ونكره مفارقتهُ حقرنا تلك الامور وتجاوزنا ذكرها اتقة منها وترفُّعاً عنها كذلك تكون حالنا بعد مفارقة الابدان فحينئذٍ نستهين جميع هذه الاشياء التي هي الان سعاداتنا ونأنف منها . وكذلك النفس اذا حصلت منفردة بذاتها خالصة من كدر الطبيعة ودرنها صار لها وجود آخر اشرف من الوجود الانساني ورتبة اعلى من المرتبة البشريَّة وتكون سعادتها مناسبة لاحوالها . ومثل النفس في ذلك مثل الفرُّوج الذي يكون اولاً في البيضة فاذا استكملت صورته ألقى منهُ قشوره وتصوَّر بصورة أُخرى اشرف من الصورة الاولى الّا ان النفس يحصل لها بمفارقة البدن صورة تلذّ منها بحسب ما اقتنتهُ وكسبتهُ وتحصل جميع هذه الاشياء على هيئة تصورها اما سعيدة واما شقية وقد كنّا بيَّنا ان للنفس العاقلة فعلاً يخصها في ذاتها وانهُ هو الذي يكملها ويسوقها الى سعادتها وذكرنا ما هو وكيف هو فمتى عاقها عن سعادتها وفي عرقوبها اياها حطَّها عن مرتبتها وبحسب ذلك الحط يكون شقاوتها »

فلا يبقى للانسان الّا ان يتزَّه نفسهُ عن الحواسّ ويصرفها الى ما يزيدها صلاحاً وجودةً فيحظى يوماً بذلك النعيم الذي لم تنظرهُ عين انسان ولم يخطر على قلب بشر

نصرانيَّة غسَّان

نبذة للاب لويس شيخو اليسوعي

لسنا ممَّن يخاصم في الدفاع عن الحقيقة . فانَّ للحقّ نوراً ساطعاً ربَّما حجبتهُ سُحُب الاهواء البشريَّة زمناً الى ان يكشف بقوَّة اشعَّته تلك الغيوم فيبدّدها ويعود الى رونقه وبهائه

على انَّهُ في بعض الامور لا يمكن الانسان ان يصيب الحق بتمامه وانَّما يستدلّ عليهِ بدلائل تختلف قوَّة وعدداً فيبرز في ذلك حكمهُ مرجحاً لرأيه على رأي غيره ربَّما يأتي بعدهُ آخر فيزيد القضيَّة وضوحاً بما اكتشفهُ من الآثار . وهذا الامر في التواريخ اصدق ممنهُ في غيره

كنّا في العام الماضي أوردنا قصيدةً مجهولةً للسمؤل الشاعر الشهير اثبتناها على علّاتها كما وجدها الانكليزي هرشفلد بالحرف العبراني واثبتها العلّامة مرغوليوث بالحرف العربيّ في المجلّة الاسيويّة الانكليزيّة (المشرق ٩ : ٤٨٢) ولمّا سألنا افاضل القرّاء ان يساعدونا في البحث عن نسخة ثانية لهذه القصيدة لتصلح روايتها السقيمة كان اول من اجاب الى ملتمسنا جناب الموصليّ داود ارميا مقدسيلو السريانيّ الكاثوليكيّ (المشرق ٩ : ٦٧٢) فاتانا برواية اضبط واصحّ ازالت عدداً كبيراً من اغلاط الرواية الاولى. وكان آخر هذه القصيدة بيت يدلّ على نصرانيّة الشاعر وهو :

وفي آخر الازمان جاء مسيحنا فاهدى بني الدنيا سلامَ التكامل

فختمنا هذه الرواية بقولنا « وان كان البيت الاخير صحيحاً صدق ظنّنا السابق بان السمؤل نصرانيّ لا يهوديّ لاسيّما ان اصلهُ من بني غسّان وبنو غسّان نصارى » وكنّا ابدينا الرجاء لجناب المراسل بان يزيدنا علماً في تعريف نسختهِ وقد تأخر الجواب الى هذه الأيام الاخيرة حيث كتب لنا جنابهُ في تاريخ ٢٧ نيسان بما حرفهُ « انّ المجموع الذي اخذتُ قصيدة السمؤل عنهُ يرتقي عهدهُ الى ما فوق المائتي سنة » وزاد ايضاحات أخرى لا حاجة الى ذكرها

وفي نيسان من السنة الجارية ارشدنا حضرة مكاتبنا الهمام الاب انستاس الكرمليّ المعروف بتفتّن ابحاثهِ الى نسخة ثانية من قصيدة السمؤل اصحّ من الروايتين اثبتناها كما وجدناها في خطّ حضرتهِ الذي نقلها عن نسخة كتبت في مجموع قصائد يرتقي تاريخهُ الى ٩٠ سنة. والقصيدة هناك تُروى لسمؤل آخر احد بني قريظة اليهود غير السمؤل الغسّاني والبيت الاخير ليس مثبتاً فيها. فرويتنا كلّ ذلك دون ان نبتّ فيهِ رأياً قاطعاً تاركين الحكم لمن هو اعلم منّا بالآثار القديمة

على ان احد البغاددة حمل قولنا هذا مع بساطتهِ الباهرة على التعصّب فكتب في مجلّة مصريّة فصلاً مطوّلاً ادّعى فيهِ « أنّنا نحلّ قيد من تقيّد بدين ونجبرهُ على النصرانيّة قبل أم أبى » فهذه كما ترى تهمة كبيرة لا يجوز لنا السكوت عنها. ولمّا كان في الفصل المذكور شكاوى متعدّدة لا يمكننا الخوض فيها كلها لا في مقالة ولا في مقالتين. بل لا في كتاب واسع ولا في كتابين نجترئ في هذه العجالة بالبحث عن المسألتين السابقتين اعني تنصيرنا للسمؤل اليهوديّ شاء ام أبى. والثانية حكمنا الباطل في تديّن غسّان كلّها

بالنصرانيَّة. وغاية ما تمنَّى ان يمنحنا الله أيامًا قليلة نتفرَّغ فيها لتنقيح ما جمعناهُ في هذا الصدد من عدد لا يُحصى من الآثار والمخطوطات والمطبوعات السريانيَّة واليونانيَّة واللاتينيَّة فضلًا عن التآليف العربية التي امكنَّا الوقوف عليها في خزائن الكتب الاوربيَّة وغيرها

ولنباشرنَّ بالمسألة الاولى التي لا تطيل فيها الكلام لسهولة الجواب على شطط الكاتب. قال جنابهُ اننا نصَّرنا السؤل مع اجماع الكتبة على يهوديَّتهِ . فعلى رسلك ياصاح غاية ما قلناهُ في نصرانيَّة هذا الشاعر مبنيَّة على حجَّتين الاولى « ظنَّية » قلنا انَّنا « ظننَّا سابقًا بانهُ نصرانيّ لكونهِ من غسَّان وغسَّان نصارى » أفي هذا القول تعسير للسؤل شاء أم أبى. وكلٌّ يعرف انَّ « الظنّ » يدلّ على الشكّ والريب لا على تيقن الامور والقطع بها وليس ظنُّنا هذا محمولاً على الوهم بل سندناهُ الى دليل رسمي نطاقًا اعني نصرانيَّة غسَّان وسيأتي الكلام عنها في جوابنا على الشكوى الثانية

ثمَّ اتينا بحجَّة ثانية لبيان نصرانيَّة السؤل وهي البيت الذي ورد في النسخة الموصلية عن مجيء المسيح حيث قال :

وفي آخر الازمان جاء مسيحنا فأهدى بني الدنيا سلامَ التكامُل

فقسنا منهُ قياسًا شرطيًّا فقلنا « ان كان البيت الاخير صحيحًا صدق ظنُّنا السابق بان السؤل نصرانيّ » فأيّ شطط في هذا القياس وكلّ منطقيّ يعلم ان الاقيسة الشرطية لا تصحُّ فيها النتيجة الَّا بصحَّة وقوع الشرط. ألا ترى اني لم انسب النصرانيَّة الى السؤل الَّا على شرط صحَّة هذا البيت فان قال الناظر انَّ البيت مصنوع واثبت قولهُ بحجج راهنة سلَّمنا بقولهِ دون ان نُصاب بسهم ملامتهِ او ملامة غيرهِ . ولكن كيف يثبت جناب الكاتب التزوير لصاحب النسخة الموصليَّة وهذه النسخة اقدم من النسخة البغداديَّة بمائة سنة فما ادرانا لعلَّ صاحب النسخة البغداديَّة لم يحذف البيت الاخير الذي يمكنهُ ان يُعدَّ احسن ختام لقصيدة تُذكر فيها آلاء الله مع شعبهِ اذ انجز مواعيدهُ على لسان الانبياء فجاء المسيح بتمَّة الكمال والفضل بعد تمَّة العدل. تقول كلّ ذلك على فرض صحَّة النسخة الموصلية

فيرى القارئ انَّنا لم نتجاوز حقوقنا في شيء ولم نتعدَّ طورنا في كلامنا عن السؤل ولم نتحرهُ شاء أم أبى

بقي علينا أن نفحص المسألة الثانية اعني نصرانيَّة غسَّان فانَّ الكاتب البغدادي يزعم اننا بنسبتنا النصرانيَّة لغسَّان قد ركبنا شططاً. وقبل اثبات قولنا بالبرهان لا نرى بدًّا من انكار ما رواهُ عن لساننا ممَّا لم نقل بهِ وهو أنَّنا بقولنا انَّ غسَّان كانوا نصارى اردنا «كلَّ» غسَّان وكذلك قولنا عن تميم وكندة وربيعة وغيرهم فانَّ الكاتب يدَّعي بأنَّنا نسبنا النصرانيَّة اليهم «كلّهم» فما لهُ رعاهُ الله لم يدلّ على الصفحة من تآليفنا حيث عمَّمنا هذا التعميم لكلّ غسَّان او لكلّ تميم او لكلّ كندة. فانهُ لو كان اورد كلامنا بنصّهِ لامكنهُ ان يزيّفهُ فيشهد القرَّاء على صدق قوله في مبالغتنا. ولا بأس ان قلنا ان غسَّان او بكر او ربيعة كانوا نصارى فهذا القول هو قبس قول كتبة العرب بالحرف يمكن تغليبهُ على القبيلة وان كان قوم منها لم يتبعوها في دينها وذلك على مثال قولنا عن الفرنسيس انَّهم كاثوليك وان كان منهم قسم صغير لا يتبع الكثلكة. او كقولنا: فلان أكل الدجاجة كلَّها وان لم يأكل عظامها

فهلمَّ الآن بنا نثبت نصرانيَّة غسَّان. وان شئت قُلْ غسَّان كلّها. وان امكن وجود بعض افراد منها او عشائر منها لم يكونوا نصارى فانَّ الكلام عن الاغلبيَّة كما قلنا. ولاثبات زعمنا لا نركن فقط الى اقوال مؤرخي العرب ونحن نعلم انَّ كتبة العرب لم يدوّنوا تاريخاً صحيحاً قبل القرن الثامن وانَّما ننقل اقوال من يُوثق بهم من كتبة اليونان والرومان اذ كانوا معاصرين للحوادث التي فصَّلوا اخبارها وامكنهم الوقوف على صحَّتها إمَّا بالمعاينة وإمَّا بصوت العموم

غسَّان قبيلة يمنيَّة قدمت جهات الشام بعد انفجار سدّ مأرب وسيل العرم فاستوطنتها ثمَّ تغلَّبت على اهلها فصار اليها الامر وعلى قول كتبة العرب كان الامر قبل غسَّان لبني سليح وقبل بني سليح لتنوخ وهم يجعلون تنوخ وبني سليح نصارى. قال اليعقوبي في تاريخهِ (١: ١٤٣) عن تنوخ: «كانت قضاعة اوَّل من قدم الشام من العرب فصارت الى ملوك الروم فملَّكوهم فكان اوَّل الملك لتنوخ بن مالك بن فهم . . . . . فدخلوا في دين النصرانية فملَّكهم ملك الروم على من ببلاد الشام من العرب». ثمَّ قال المسعودي في مروج الذهب عن بني سليح (٣: ٢١٦) : «وردت سليح الشام فتغلَّبت على تنوخ وتنصَّرت فملَّكها الروم على العرب الذين بالشام»

هذا ما قالهُ العرب عمَّن تقدَّم الفسانيين في الشام رويناهُ على علاَّتهِ وان تتبَّعنا

آثار النصرانية في كتبهم وجدناهم يذكرون ملوك غسان الاولين ابنية تدلُّ على نصرانيتهم فانَّ المسعوديَّ وأبا الفداء وحمزة الاصفهانيَّ والنويري وغيرهم يؤكدون عن ملكهم الثاني عمرو بنَ جبلة انهُ « بنى بالشام عدَّة ديورة منها دير هند ودير حالى ودير أيوب » ثمَّ ذكروا للايهم بن الحارث بن جبلة اخو المنذر الاكبر انهُ « بنى دير ضخم ودير البنوة ». ومنَّن اشار الى نصرانية غسان النابغة في بيتهِ الشهير حيث ذكر عيد الشعانين فقال :

رقاق النعال طيب حجزاتهم يحيَّونَ بالريحان يوم السباسب

ومن الشواهد عن نصرانيَّة غسَّان قول اليعقوبيَّ من كتبة القرن العاشر للمسيح حيث قال (ص ٢٩٨) : « واما من تنصَّر من احياء العرب فقومٌ من تريش . . . . . ومن اليمن طيّ ومذحج وبهراء وسليح وتنوخ وغسَّان ولخم » . نعم انهُ قال قبل ذلك : « وتهوَّد قومٌ من بني الحارث بن كعب وقوم من غسَّان » . فاستثنى من غسَّان « قوماً » اي فئة وافرادًا وسنعود الى ذلك قريباً

وقال السيوطيّ في المزهر نقلًا عن كتاب الألفاظ والحروف بانَّ اللغة العربيَّة لم تؤخذ من قبائل شتَّى الى ان قال انَّها لم تؤخذ « ولا من قضاعة وغسَّان واياد لمجاورتهم اهل الشام واكثرهم نصارى يقرأون بالعبرانيَّة » يريد بالعبرانيَّة السريانيَّة الفلسطينيَّة

هذا بعض ما علق في ذهن العرب عن نصرانيَّة غسَّان لمَّا اخذوا بتدوين التاريخ اعني بعض الهجرة بنيف ومئة سنة ولعلَّهُ كافٍ ليقنع بشيوع النصرانية بين الغسَّانيين. فلنسمعنَّ الآن بعض اقوال مؤرخي اليونان واللاتين الذين كتبوا منذ القرن الرابع الى القرن السابع اعني قبل العرب بثلثمائة سنة فانَّ اقوالهم جديرة بالاعتبار وهم معاصرون للامور التي كتبوا عنها

١ اوَّل شاهد عن نصرانيَّة غسَّان تأخذهُ من التاريخ الرومانيّ . اتَّفق اليوم المؤرخون على انَّ غسَّان كانت ماكثةً على بلاد الشام لمَّا غلبتَ النصرانيَّة على اديان الامم بتنصُّر قسطنطين الكبير. فان كانت القبائل التي سبقت هذا العهد من تنوخ وسليح في أيام اضطهادات القياصرة على قول العرب قد تنصَّرت فما تولك بغسَّان التي كانت في أيام انتصار النصرانيَّة وفي عهد قياصرة نصارى

٢ لنا شاهد ثانٍ في تواريخ المجامع النصرانيَّة الاولى كنيقية وقسطنطينيَّة

وأفسوس وخلقيدونية فانّنا نجد نحو عشرة اساقفة من بلاد غسان حضروا تلك المجامع وأمضوا اعمالها بتوقيعهم فلولا امتداد النصرانيّة في تلك الجهات لما توفّرت الكراسي الاسقفية تلك الى هذا الحدّ وقد تضاعف هذا العدد بعد ذلك في القرن السادس واوائل السابع . ولا غروَ لأنّ بلاد غسان كانت مجاورة اكثر من سواها من اقطار العرب لمراكز نصرانيّة مهمّة لاسيما دمشق وفلسطين

٣ والشاهد الثالث نجده في تواريخ سوزومان (ك ٦ ف ٣٨) وسوقراط (ك ٤ ف ٣٠) وروفينوس (ك ١١ ف ٦) وثاودوريطس (ك ٤ ف ٢١) وغيرهم كثيرين فانّهم يروون تنصُّر عَرَب الشام على يد السيّاح الذين كانوا في تلك الجهات في اواسط القرن الرابع في عهد الامبراطور والنس . وكان رجوع كثيرين منهم الى الايمان في عهد ملكهم المدعو « زوقوم » (Ζοκομος) وهو « ضجعم » كما يُظنّ وهو الذي ينسب اليه مؤرخو العرب دير داود (١ . فيروي هؤلاء الكتبة انّ الله رزقهُ بدعاء أولئك النسّاك ولدًا ذكرًا فتنصّر ونصّر معهُ قسمًا كبيرًا من شعبه

ثمّ صار الامر من بعده الى ماريّة أو ماوية فهذه حاربت الرومان في عهد القيصر والنس السابق ذكرهُ فغلبت جيوشهم غير مرّة ولم يخمد لظى الحرب إلى ان رضي القيصر بما اشترطتهُ عليه . وكان من أول شروطها ان يُسقَّف على قبائلها سانح يُدعى موسى كان متعبّدًا لله في بادية الشام . فأجاب إلى طلبها وكان موسى كاثوليكيًّا محضًا مبغضًا لشيعة آريوس فلمّا سُقّف واصل اعمال النصرانيّة وعمّد ما بقي من تلك القبائل دون عماد

٤ ومذ ذاك الحين إذا ورد اسم احد ملوك غسّان امّا في تواريخ السريان وامّا في تواريخ اليونان واللاتين تجد الكتبة لسانًا واحدًا في وصفهم كنصارى يخصّهم الكتبة بالالقاب الشرفية الممنوحة لهم من القياصرة فيُدعَون بطارقة وامراء وذوي العزّ والدولة . وربّما زادوا على هذه الألقاب ما دلّ على دينهم فيدعونهم مؤمنين (ܚܟܝܡܐ ܕܡܗܝܡܢܐ ܠܡܫܝܚܐ) ومحبّي للمسيح (ܚܟܝܡܐ ܕܪܚܡܝ ܠܡܫܝܚܐ) وكذلك ورد في احد مخطوطات لندن اسم كاهن يُدعى « كاهن ذي العزّة والمحب للمسيح البطريق المنذر بن الحارث »

(١ اطلب كتاب نلدكه من غسّان (Die Gassanischen Fürsten, p. 8)

٥ وقد تأيد ذلك بما وُجد من الآثار في حوران واللجا والصفا من كتابات وهيا كل ونقوش تشهد بانتشار النصرانية في تلك الجهات منذ القرن الرابع. هذا فضلاً عن كتابات حجرية في اليونانية بينها كتابة عربية للملك المنذر يشهد باقامة معبد للقديس يوحنا المعمدان (له بقية)

مطبوعات شرقية جديدة

Lucien Choupin : Valeur des Décisions doctrinales et disciplinaires du St. Siège (SYLLABUS; INDEX: SAINT-OFFICE; GALILÉE. *Paris, G. Beauchesne et Cie*, 1907, pp. VII-388.

احكام الكرسي الرسولي وما يُقتضى لها من الخضوع

للاحبار الرومانيين في احكامهم وتقريراتهم طرائق شتّى يبلّغون فيها الكاثوليك اوامرهم فتارةً يحكمون حكماً قاطعاً بصفة كونهم نوّاب المسيح يملكون السلطة التامة للحلّ والربط كما نالها القديس بطرس هامة الرسل. وتارةً يوجهون للكنيسة رسائل ومناشير للتهذيب والتأديب. وحيناً يصادقون على الاحكام التي تبرزها الجمعيات الرومانيّة التي تساعد الحبر الرومانيّ في رعاية الكنيسة وسياستها وتكون هذه المصادقة اما خصوصيّة واما عموميّة وتلك الاوامر ليست كلها في رتبة واحدة فانّ منها ما يوجب الايمان كتعليم السيد المسيح والرسل ومنها ما يقتضي خضوع العقل وطاعة الارادة كما يستدعي المقامُ كلّ حكم. وهاءنذا بكتاب غايتهُ بيان هذه الاحكام وما ينبغي لكلّ صنف منها من الاذعان لئلّا يشطّ المؤمن عن واجبات ايمانه. وقد شرح المؤلف ذلك مستندًا الى مبادئ لاهوتيّة ثابتة تزيل كلّ شبهة والتباس. وزيادةً للوضوح اتّخذ بعض قرارات الكرسيّ الرسولي ليبيّن ما كان يتحتم بها على رعايا الكنيسة واي خطيئة كان يرتكبها من يأبى الخضوع لها. وهذه الابحاث من اصعب المطالب اللاهوتيّة الّا ان المؤلف قد اصاب في تعريف وجوهها وحسن تقسيمها وكشف معمّياتها د. ر

الكلام المذهب المستجاد في سيادة المطران يوحنّا مراد

جمع الخوري الفاضل لويس جبر شهوان التزيري (طُبع سنة ١٩٠٦ ص ١١١)

يحقّ بالبنين ان يفرحوا عند عودة ابيهم العزيز من سفر طويل فيثلّوا ما تكنّهُ قلوبهم